﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨﴾ [السجدة: 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لا يستوي المؤمن الطائع مع غيره

لمّا ذكرت الآيةُ السّابقة جزاء المؤمنين الذي لا يعلمه أحدٌ، ولا رأته عينٌ، ولا سمعت به أذنٌ، ولا خطرَ على قلب بشرٍ، بعدما ذكرت الآيات السّابقة جزاء الكافرين المُعدَّ لهم في الآخرة، جاءت هذه الآية الكريمة ببيان وجهِ المُفارقة بين فريقَي الإيمان والكفر، بأنَّهما لا يستَويان عند الله.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَاسِقٗاۚ﴾: (فَسَقَ فلانٌ): خرجَ عن حِجْرِ الشَّرع، وذلك من قولهم: (فَسَقَ الرُّطَبُ) إذا خرج عن قشرِه، وهو أعمُّ منَ الكفر، والفِسْقُ يقعُ بالقليل منَ الذُّنوب وبالكثير، لكن تُعُورف فيما كان كثيرًا، وأكثرُ ما يُقالُ: (الفاسقُ) لمَن التزمَ حكمَ الشَّرع وأقرَّ به، ثمَّ أخلَّ بجميع أحكامِه أو ببعضِها، وإذا قيلَ للكافر الأصليِّ: (فاسِقٌ)، فلأنَّه أخلَّ بحكم ما ألزمَه العقلُ واقتَضَتْه الفِطرةُ، قال الله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف: 50][1]، والمعنى المحوريُّ: خروجُ الشَّيءِ عن غلافِه (حَدِّه) أو حيِّزه لحدّةٍ أو فسادٍ؛ كحال تلك الفواسقِ في طبائعِها وما يصدُرُ عنها[2].

2) ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾: (سوي) أصلٌ يدُلُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بين شيئين[3]، والمُساواة: المُعادلةُ المُعتبرةُ بالذِّراع والوزن والكيل، يُقالُ: هذا ثوبٌ مُساوٍ لذاك الثَّوب، وهذا الدِّرهم مُساوٍ لذاك الدِّرهم، وقد يُعتبر بالكيفيَّة نحوُ: هذا السَّوادُ مُساوٍ لذلك السَّواد، وإن

(1) الراغب، المفردات: (فسق).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (فسق).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).

كان تحقيقُه راجعًا إلى اعتبار مكانِه دونَ ذاتِه، والمعنى: لا يستوي المُؤمنون والفاسقُون عندَ اللّه يومَ القيامة[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تـفـاوتُ المنـازل بـيـن المـؤمـن والكافرِ

بدأت الآيةُ بالمُقارنة بين فريقَي الإيمان والكفر، وأنَّهما لا يستَويان؛ هل يستَوي المُؤمن باللّه ورسوله، المُطيعُ لأمره ونهيه، والكافرُ الخارجُ عن طاعةِ ربه، المُكذِّبُ رسل اللّه إليه؟ والجوابُ: لا يستَوي المؤمنون والفاسقون أبدًا في الدُّنيا والآخرة.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصلِ الآيةِ عن سابقتِها:

بـيـانُ تفصيلِ الجزاء

فُصِل قولُه تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ عمّا قبلَه؛ لأنَّه في معنى الاستئنافِ البيانيِّ[2]، وذلك لبيان مبدأ الجزاء العادل، الذي يُفرِّقُ بين أهل الإيمان وأهل الفسق في الآخرة، وأساسُ الجزاء العملُ على أساسٍ منَ العدل المُطلق.

بلاغةُ الاستفهام في قوله: ﴿أَفَمَن﴾:

إنـكـارُ المُساواة بين الفريقَين

تظهر بلاغة الاستفهام في قوله: ﴿أَفَمَن﴾ بالإنكارِ على مَن حاولَ المُساواة بين المُؤمن والفاسقِ بعد ظُهور ما بينهما منَ التَّباين، فلا مُساواةَ بين كونِ المؤمن الذي حكيت أوصافُه الفاضلةُ كالفاسق الذي ذُكرت أحوالُه القبيحةُ العاطلةُ، فالإنكارُ يُفيدُ أنَّه لا تقارُبَ بينهم فضلًا عن التَّماثلِ[3]، وهو إنكارٌ بتنزيل السّامع منزلةَ المُتعجِّبِ منَ البَون بين جزاءِ الفريقَين في ذلك اليوم، فكان الإنكارُ مُوجَّهًا إلى ذلك التَّعجُّب في معنى الاستئنافِ البيانيِّ[4].

(1) الراغب، المفردات: (سوا).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 231.
(3) الشهاب، حاشية الشهاب: 5/ 83.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 231.

سرُّ التَّعبير بالفاء في قوله: ﴿أَفَمَن﴾:

تنـوُّعُ دلالات حـروف المعـاني دليلٌ على إعجاز القرآن

آثر النَّظم التعبيرَ بالفاء في قوله: ﴿أَفَمَن﴾ دونَ غيرها؛ لتنوُّع المُرادِ منها؛ فقد تكون استئنافيَّةً لا موضعَ لها[1]، وقد تكونُ عاطفةً على محذوفٍ يقتَضيه السّياقُ[2]، فهي بناءً على ذلك تفريعٌ على ما تقدَّمَ منَ الآيات منَ الوعد للمُؤمنين والوعيد للكافرين[3].

بلاغةُ التَّشبيه في الآية:

بيانُ البُعد بين طـرفَي الإيـمـان والفسقِ

تظهرُ بلاغة التَّشبيه في قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ باستعمال الكاف هنا للتَّشبيه في الجزاء[4]، فهو تشبيهٌ تامٌّ مُفصَّلٌ، ويكون معناه: أيستَوي الإنسانُ الذي آمنَ بالغيب وآمنَ باللّه، وآمنَ بالجنَّة، وآمنَ بالنّار، مع الفاسق الذي خلعَ عن نفسه عباءة الإسلام، وخرجَ من دين الله ﷻ، وخرجَ عن طاعةِ ربِّ العالمين سبحانه؟ فلا يستَوي المُؤمنُ مع الفاسق لا في الدُّنيا ولا في الآخرة.

دلالةُ التَّعبير بـ﴿كَانَ﴾ مع دلالة الاسميَّة:

رسـوخُ الوصفِ لكـلا الفـريـقين مِن الأزل

دلَّ التَّعبير بلفظ ﴿كَانَ﴾ في قوله: ﴿كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ على أنَّ إيمانَه أمرٌ قدَّره اللّه أزلًا لتحقُّق علمِه باختياره للإيمان والعمل على تحقيقِه، وفي قوله: ﴿كَانَ فَاسِقًا﴾ دلالةٌ على علمِ اللّه ﷻ الأزليِّ باختيار الإنسان للفسقِ، والعمل على تحقيق ذلك بخروجِه عن دائرة الإيمان، ويُؤكِّد ذلك التَّعبيرُ بالاسميَّة ﴿مُؤْمِنًا﴾ و﴿فَاسِقًا﴾ التي تدلُّ على ثُبوت هذا الوصف وتحقُّقِه واستقراره حتَّى صار علَمًا عليه.

سرُّ اختيار ﴿فَاسِقًا﴾ دونَ (كافرًا):

عـمـومـيَّـةُ لـفـظ الـفـسـقِ فالفاسقُ كافرٌ وزيادةٌ

آثر القرآن الكريم التَّعبيرَ بالفسقِ في قوله: ﴿فَاسِقًا﴾ دونَ (كافرًا)؛ لأنَّ الفسقَ أعمُّ منَ الكفر؛ فأصلُ الفسق: الخروجُ، من

(1) العكبري، التبيان: 2/ 1049.
(2) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 582.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير:21/ 231.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 231.

(فسَقَتِ الثَّمرةُ) إذا خرجَتْ من قشرِها، ثمَّ استُعمل في الخروج عن الطَّاعة وأحكامِ الشَّرعِ مُطلقًا، فهو أعمُّ من الكفر، وقد يُخصُّ به كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور: 55][1]، والمرادُ به: مَن ليس بمُؤمنٍ بقرينة قوله بعده: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؛ فالمرادُ: الفسقُ عن الإيمانِ[2].

نكتةُ تنكيرِ ﴿مُؤْمِنًا﴾ و﴿فَاسِقًا﴾:

العمومُ والشُّمولُ

التَّنكير في اللَّفظتَين يُشير إلى العموم والشُّمول بين كلِّ مُؤمن وكلِّ فاسقٍ؛ فلا يستَوي أيُّ مؤمنٍ مع أيِّ فاسقٍ ألبتَّةَ؛ لِما بينهما من بُعدٍ، وفي التَّنكير بيانُ التَّعظيم والتَّحقير في آنٍ واحدٍ، فالتَّعظيمُ للمؤمن، والتَّحقيرُ للفاسق.

بلاغةُ الطِّباق بين ﴿مُؤْمِنًا﴾ و﴿فَاسِقًا﴾:

بيانُ التَّناقض الكبير بين الفريقَين

بلاغة الطِّباق قائمةٌ على بيان التَّناقض الكبير بين طرفَين، والطَّرفان هنا: (مؤمن) و(فاسق)، ومن ثَمَّ فالطِّباق بينهما يرسمُ صورةً لفريقَين؛ أحدُهما يسير على خُطا الهدى، وآخرُ يسير على طريق الضَّلال، وفي هذا تحريكٌ للعاقل كي يُفكِّر في خير الطَّريقَين، ثمَّ في الطِّباق بيانُ العلم الشَّامل المُحيطِ باعتقادات البشر وتصوُّراتهم، وفي ذلك إشارةٌ للسَّيطرة التي يختَصُّ بها الله ﷻ.

سرُّ العدول عن المُتعارف في نفي مُشابهة الأخسِّ بالأشرفِ:

شدَّةُ التَّشنيعِ عليهم بقَلْبِهم المفاهيمَ العقليَّةَ البديهيَّة

المُتعارفُ نفيُ مُشابهة الأخسِّ بالأشرفِ؛ لكنَّه في هذه الآية عكسَ تنبيهًا على أنَّهم لاستحسانِ الكفر جعلَه أصلًا مُشبَّهًا به، والإيمانُ مُشبَّهًا وفرعًا، وفيه مُبالغةٌ في بيان كمال شناعتِهم في فسقِهم وكُفرِهم[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 231.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 231.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 272.

نكتةُ بناء الآيةِ على الاستفهامِ لا الخبريَّة:

إلجاءُ الخصم إلى الاعترافِ بالقضيَّةِ

جاء بناءُ الآية على الاستفهام دونَ الخبر في قوله: ﴿أَفَمَن﴾؛ لإلجاءِ الخصمِ إلى الاعترافِ بالقضيَّةِ، وهذا الأسلوبُ يُسمَّى: أسلوبَ الإقناعِ التَّأكيدي، وهو أن تجعلَ الخصم هو الذي ينطقُ بالحكم، كأن تقولَ لمَن يُنكر فعلَك بصيغة السُّؤال: ألم أُقدِّم لك كذا وكذا يوم كذا وكذا؟ وأنتَ لا تسألُه إلا إذا وثقتَ بأنَّ جوابَه لا بدَّ أن يأتي وفقَ مُرادك، وعندها يكونُ كلامُه حجّةً عليه؛ لذلك طرحَ الحقُّ سُبحانه هذه المسألةَ في صورة سؤالٍ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ﴾، ولا بدَّ أن نقول نحن في جواب هذا السُّؤال: لا يستوي مُؤمن وفاسقٌ، ومن يقُلْ بهذا فقد وافقَ مُرادَ ربِّه[1].

نكتةُ التَّعبير بـ ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ دونَ (لا يستويان):

نفيُ المُشابهة بين المؤمن والفاسق مع إرادة العموم

جاء التَّعبير القرآنيُّ في نفي المُساواة بقوله: ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾، ومُقتَضى الظّاهر أن يأتي على صيغة التَّثنية، فيُقالُ: (لا يستَويان)؛ لكنَّ التَّعبير القرآنيَّ جاء بالفعلِ على صيغةِ الجمع، وفائدتُه التَّصريحُ به مع إفادةِ الإنكارِ، لنفي المُشابهةِ بالمرَّة على أبلَغِ وجهٍ وآكَدِه، ثمَّ إنَّ الفعل هنا جاء لبناء التَّفصيل الآتي عليه: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾، علمًا أنَّ الجمع هنا جاء لمُلاحظة لفظة ﴿أَفَمَن﴾[2]؛ فهي تصلحُ للمُفرد والجمع، وقد يكون اللَّفظُ مُفردًا لكن يُراد به العموم؛ أي: المؤمنون والفاسقون، ويجوزُ أن يُقالَ: إنَّ الاثنَين جماعةٌ فجاز ﴿يَسۡتَوُۥنَ﴾؛ لأنَّ المؤمن والكافر صارا كأنَّهما جماعةٌ.

نكتةُ فصلِ ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ عمّا قبلَها:

الانسجامُ بين أوَّلِ الآية وآخرِها

جاء قولُه تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ كأنَّه جوابٌ للسُّؤالِ: ﴿أَفَمَن كَانَ

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 11842.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 85.

مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ﴾[1]، فبين أوَّلِ الآية وآخرِها انسجامٌ، فجواب الاستفهام هو عدم الاستواء والتَّماثلُ، فكأنَّ جملةَ ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ عطفُ بيانٍ للمقصود من الاستفهامِ[2].

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 11842.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 231.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»